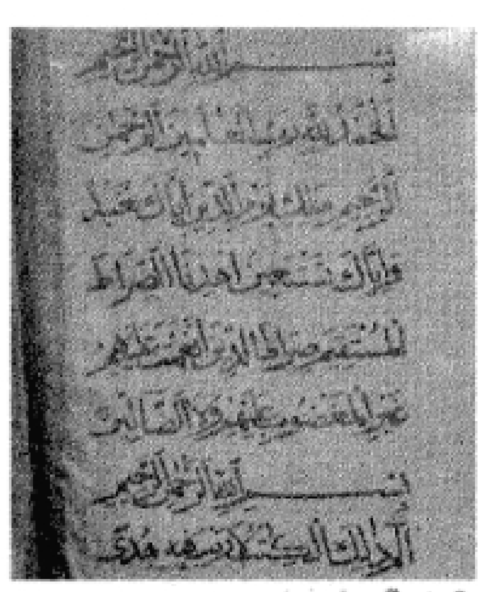
ألم يحن الوقت للاستفادة من



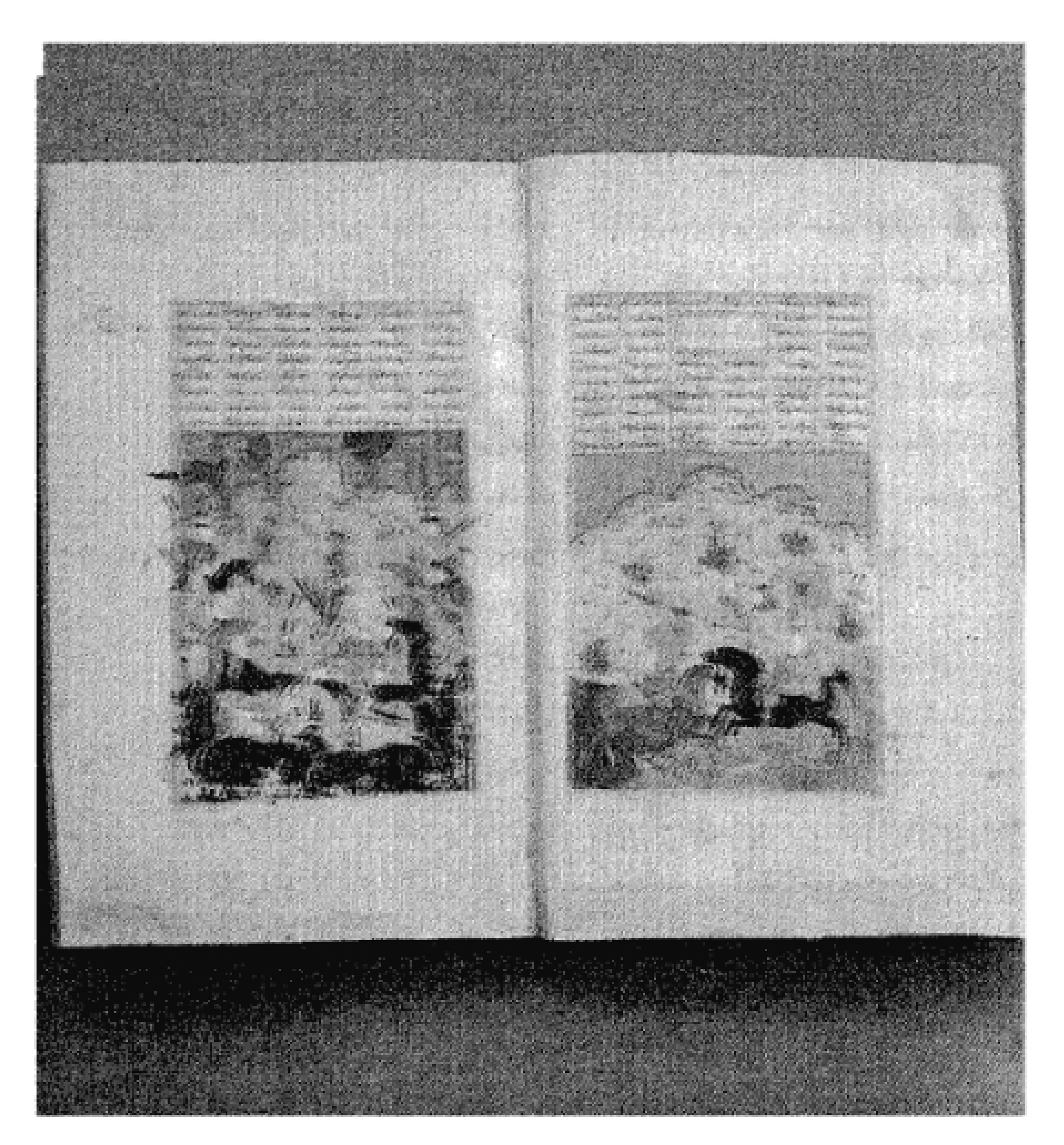
الورقة الأولى من المصحف الذى أوقفه الناصر محمد بن قلاوون على الجامع الكبير بالقلعة سنة ٧٣٠ وهو مكتوب بماء الذهب .



بقلم : د. أيمن فؤاد سيد

■ يبلغ حجم المخطوطات العربية فى مكتبات العالم تبعا لتقدير العلماء المختصين نحو ثلاثة ملايين مخطوط بينها النسخ المكررة وغير ذات القيمة والحديثة. أما المخطوطات المعتبرة بين هذا الكم فتصل إلى نحو نصف مليون مخطوط .

والمخطوطات العربية هى السجل الحافل الذى يمثل ثقافة الأمة الإسلامية ونتاجها العقلى والفكرى طوال أربعة عشر قرنا .



ورقة من كتاب الشاهنامة للفردوسي (٧٣ تاريخ فارسي) .

وقد عرفت المخطوطات العربية منذ نشأة التدوين عند المسلمين والذى يرجعه المتخصصون إلى منتصف القرن الثانى الهجرى فقد بدأت منذ هذا التاريخ المؤلفات الضخمة فى آداب اللغة العربية وعلوم الإسلام المختلفة فى الظهور،

بالإضافة إلى مانقله المترجمون والنقلة عن اليونانية والسنسكريتية والسريانية فى الشرق واللاتينية فى الأندلس وقد حفظ لنا الوراق العربى الشهير ابن النديم أسماء وموضوعات هذا الانتاج فى كتابه «الفهرست» الذى بدأ فى تأليفه سنة ٣٧٧هـ - ٩٨٧م. كذلك فقد أورد ابن خير الإشبيلى فى «فهرسته» قائمة مفصلة بالكتب الشرقية من مختلف فروع المعرفة التى أدخلت الى الأندلس أو التى ألفت به.

وعرفت حواضر الخلافة الإسلامية فى دمشق وبغداد وقرطبة والقاهرة وكذلك مدن أخرى شهيرة خزائن الكتب التى كانت تحوى هذه المؤلفات.

● ضياع تراث المخطوطات

وقد تعرض هذا التراث فى فترات متباعدة إلى أزمات وكوارث أودت بالكثير منه. فعندما استولى صلاح الدين على مقاليد الأمور فى مصر بعد سقوط الفاطميين سنة ٥٦٧هـ عرضت مكتبتهم التى كانت تضم نحو أكثر من ستمائة ألف كتاب للبيع، وانتقى منها القاضى الفاضل مائة ألف مجلد جعلها فى مدرسته الفاضلية بالقاهرة كما أدى الغزو المغولى للعراق وسقوط بغداد بعد ذلك بنحو قرن من الزمان فى سنة ٦٥٦هـ الى ضياع الكثير من التراث العربى الذى أغرق فى مياه دجلة والفرات وضاع عنا خبره.

كما أن المكتبة التى كونها خلفاء الأمويين فى قرطبة بالأندلس فقدت هى الأخرى بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م وأمر الكاردينال سيزنيروس بإحراق كل الكتب المكتوبة بالحرف العربى فى الميدان العام بغرناطة.

وعلى ذلك فإن ماوصل إلينا من تراث المخطوطات العربية يعد نذرا قليلا مما انتجه علماء المسلمين فى كافة مجالات المعرفة الانسانية وعرف العديد من هذه المخطوطات طريقه الى مكتبات تركيا فى أعقاب الفتح العثمانى لأغلب البلاد العربية ثم الى مكتبات أوربا طوال القرون الثلاثة الماضية وتكونت من حصيلتها المجموعات الضخمة للمخطوطات الشرقية فى مكتبات أوربا وأمريكا.

وعلى ذلك فعندما نبه على مبارك الى مدى خطورة ذلك فى نهاية القرن الماضى وفكر فى انشاء الكتبخانة الخديوية عام

١٨٧٠ على غرار دور الكتب الوطنية فى أوربا لم يستطع أن يجمع أكثر من ثلاثين ألف كتاب أغلبها من المخطوطات من المدارس والزوايا والمساجد كانت هى نواة رصيد دار الكتب المصرية .

● أغلى المخطوطات

وبعد أن أضيف إلى دار الكتب مكتبات غنية عن طريق الاهداء والوقف والشراء مثل مكتبات مصطفى فاضل والشنقيطى وقولة وأحمد تيمور باشا وأحمد زكى باشا وأحمد طلعت بك والحسينى وغيرها بلغ مجموع مخطوطات دار الكتب نحو ستين ألف مخطوط شرقى : عربى وتركى وفارسى تعد الآن من أغلى وأنفس ماتقتنيه دار الكتب المصرية ومن أقيم المجموعات العالمية .

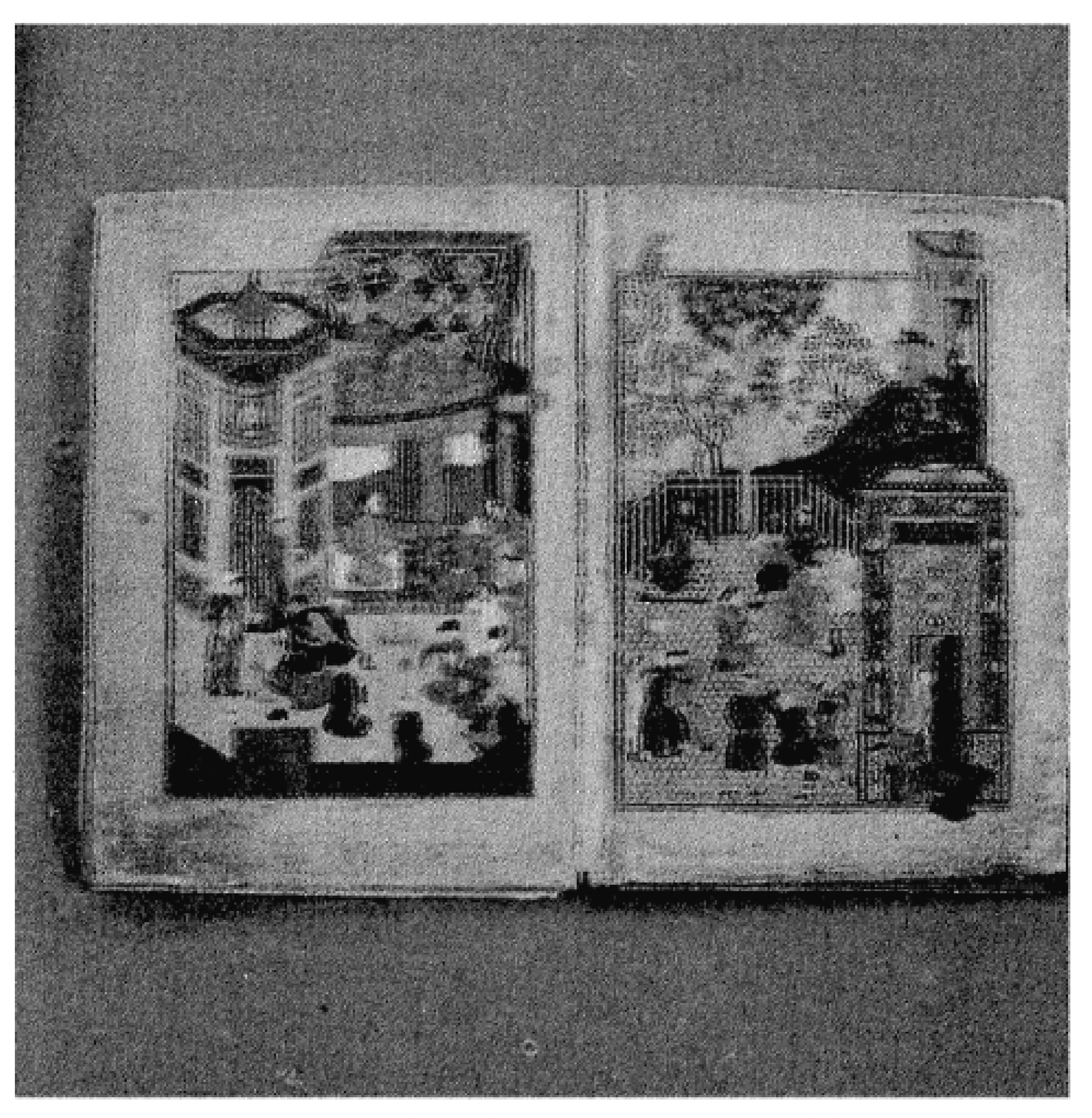
وتمتاز مجموعة دار الكتب بتنوع موضوعاتها وبخطوطها المنسوبة وقيمتها العلمية والمادية، وبوفرة عدد ضخم من المصاحف الشريفة التى يرجع اقدمها الى القرن الثانى الهجرى بالإضافة الى مجموعة نادرة من المصاحف المملوكية التى كانت موقوفة على المدارس التى أنشأها سلاطين المماليك ونقلت الى الدار بعد انشائها، كذلك مجموعة نادرة من المخطوطات الفارسية المزينة بالصور (المنمنمات) وبماء الذهب والألوان البديعة.

ومن نوادر مخطوطات الدار وأقدمها نسخة من «رسالة الإمام الشافعى» كتبها الربيع المرادى تلميذ الشافعى سنة ٢٦٥هـ. وهذا الكتاب هو أول تأليف فى أصول الفقه. (٤١ أصول فقه م) وهى من بين مخطوطات مكتبة مصطفى فاضل .

– كتاب «الجامع فى الحديث» لعبد الله ابن وهب المتوفى سنة ١٩٧هـ وهى المخطوطة الوحيدة المكتوبة على ورق البردى عثر عليها بمدينة ادفو فى صعيد مصر كتبت فى القرن الثالث الهجرى (٢١٢٣ حديث) .

كتاب «سرّ النحو» لأبى اسحاق الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ، نسخة بخط نسخ مضبوطة بالحركات كتبت فى بداية القرن الرابع الهجرى تقديرا . (٤٥٩ نحو).

– كتاب «أخبار سيبويه المصرى» لأبى محمد الحسن بن ابراهيم بن الحسين



بوستان سورى (٢٢ أدب فارسى) اللوحة اليمنى تمثل الاستعداد لمجلس طرب، واللوحة اليسرى تمثل السلطان حسين وندمائه فى مجلس طرب.. من رسم الفنان بهزاد .

الورقة الأخيرة من الرسالة فى أحوال الفقه للامام الشافعى..
وواضح بها انها تمت كتابتها سنة خمس وستين ومائتين (١٤١
حول [illegible] م) ..



المعروف بابن زولاق المتوفى سنة ٣٨٧هـ. نسخة كتبت فى نهاية القرن الرابع الهجرى وعلى صفحة عنوانها خط المؤلف بخط نسخي معتاد غير منقوط . (٣٥٤ تاريخ) .

– جزء من «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المتوفي سنة ٤٦٣هـ من نسخة بقلم معتاد كتبت في بداية القرن الخامس الهجرى بأولها وأثنائها وأخرها سماعات مؤرخة سنة ٤٥٣ (قبل وفاة المؤلف) و٤٩٥و٥٣١ و٥٦٧. (٢٣٣٢ تاريخ) .

– الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ هـ نسخة بقلم تعليق مشكول كتبها الحسن بن الفرج بن ابراهيم وأتم كتابتها فى شهر جمادى الأولى سنة ٤٣٠هـ (١١٠ نحو) .

– كتاب الحيَل لأبي بكر أحمد بن عمر الخصاف الشيباني المتوفى سنة ٢٦١هـ. نسخة بقلم نسخ كتبه منصور بن هبه الله ابن محمد بن الحسين الموصلى فى المحرم سنة ٤٩٦ هـ .

(١٥٤ فقه حنفى) .

– مشكل القرآن لعبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ نسخة بقلم نسخ معتاد كتبها محمد بن احمد بن يحيى وفرع منها فى شهر ربيع الآخر سنة ٢٧٩ هـ . (٦٦٣تفسير) .

– التعليقات والنوادر لأبى على الهجرى المتوفى نحو سنة ٣٠٠ هـ. نسخة بقلم معتاد مشكول كانت من بين كتب خزانة الفاطميين بالقاهرة وعليها توقيف باسم الخليفة الظافر الفاطمي. (٣٤٢ لغة).

– ايضاح الوقف والابتدا لأبى بكر بن الأنبارى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ . نسخة بقلم نسخ مضبوط بالحركات كتبت فى بداية القرن الخامس الهجرى وبأخرها سماعات أحدها مؤرخ سنة ٤٥٤هـ .

(١ – قراءات) .

– الحجة فى قراءات الأئمة السبعة لابي عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠هـ . نسخة بقلم نسخ مضبوط بالحركات فرغ من كتابتها فى ذى الحجة سنة ٤٩٦ هـ .

(١٣٤ قراءات طلعت) .

– ديوان شعر الحادرة، قطبة بن أوس الفزارى برواية أبى عبدالله محمد بن العباس اليزيدى المتوفى سنة ٣١٠ هـ .

نسخة بخط الثلث والنسخ كتبها الخطاط الشهير على بن هلال، المعروف بابن البواب، المتوفى فى بغداد سنة ٤٢٣ هـ .

(٢١٤٥ أدب)

– الزوائد والنظائر وفوائد البصائر لأبى عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى المتوفى سنة ٤٧٨هـ. نسخة كتبت فى حياة المؤلف كتبها أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الرازى سنة ٤٦٧ هـ بقلم نسخ معتاد .

(١٣٠ تفسير) .

– الجزء الثانى من سنن أبى داود، سليمان بن الأشعث بن اسحاق السجستانى المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ، من نسخة بقلم معتاد كتبت سنة ٥٠٧هـ بفسطاط مصر .

(٦٤٧ حديث) .

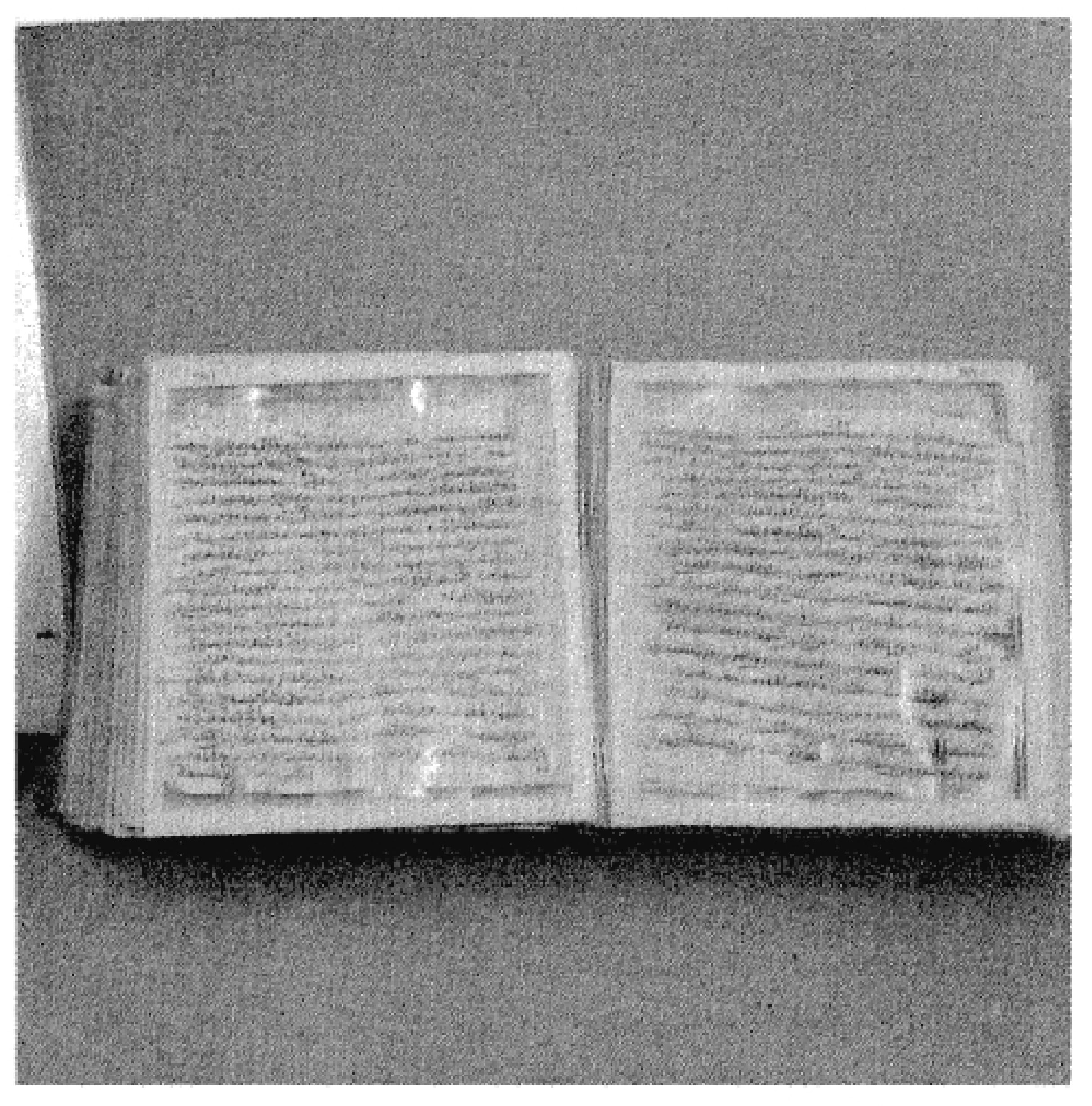
– السنن الكبرى لأبى بكر البيهقى، نسخة جيدة بخط المؤلف المتوفى سنة ٤٥٨هـ . (٢٦٧ حديث) .

– مجموع فى أمراض العين ومداواتها ويشتمل على ثمانى كتب ورسائل لجالينوس وحنين بن اسحاق ويحيى بن ماسويه المتطبب وثابت بن قرة. وهى نسخة نادرة يتخللها بعض الصور التوضيحية بالألوان لأجزاء العين كتبها عبد الرحيم بن يونس الأنصارى وفرغ من كتابتها فى ٢٦ ربيع الآخر سنة ٥٩٢ هـ . (١٠٠ طب تيمور).

– الجزء الثالث من مسند الإمام مسلم القشيرى النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١ هـ. بخط نسخ واضح كتبه عبدالرحيم بن حمد بن عبد الرحيم النهاوندى بمدينة السلام بغداد سنة ٥٤٨ هـ (٢ حديث ق) .

– الأجزاء الثانى والرابع والحادى عشر من كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى المتوفى سنة ٣٥٦ من نسخة نفيسة بقلم نسخ معتاد كتبها محمد بن أبى طالب البدرى سنة ٦١٤ هـ ويأول كل جزء صورة ملونة بماء الذهب واللازورد والحمرة وعليها مطالعات، وكتبت عناوين ورءوس الفقر بماء الذهب (٥٧٩ أدب) .

كما تملك دار الكتب مجموعة نادرة من المصاحف تبلغ نحو ١٦٠ مصحفا لعل أقدمها مصحف بالخط الكوفى ينسب الى الحسن البصرى (٥٠ مصاحف طلعت) .



ورقة من الكتاب الوحيد المكتوب على البردى الجامع فى الحديث لعبد الله بن دهب بعد ترجمتها (٢١٢٣ حديث) .

نوادر المخطوطات

الورقة الأخيرة من الجزء الحادى عشر من كتاب الأغانى لابى الفرج الاصفهاني كتبت سنة ٦١٤هـ (٥٧٩ أدب) .



ومصحف مكتوب على الرق بالخط الكوفى على طريقة أبى القاسم الدؤلى فى التنقيط كتب على الأرجح فى القرن الثانى الهجرى (١١٥ مصاحف) .

- مصحف بخط ياقوت المستعصمى كتبت أسماء السور والفواصل فيه بماء الذهب فرغ من كتابته سنة ٦٣٠ هـ . (٤٦٥ تفسير تيمور) .

وذلك بالإضافة الى مصاحف مملوكية ضخمة أوقفها المنصور قلاوون والناصر محمد بن قلاوون والناصر حسن بن محمد ابن قلاوون وبرسباى والاشرف قايتباى وخوند بركة وغيرهم كلها مجدولة بماء الذهب والألوان الجميلة .

أما المخطوطات الفارسية بدار الكتب فمن بينها واحد وسبعون مخطوطا مزينة بالصور (المنمنمات) يتراوح تاريخها بين القرن الثامن الهجرى والقرن الرابع عشر الهجرى هى مجموع ماتقتنيه دار الكتب من المخطوطات المصورة فى رصيدها العام، ومكتباتها الملحقة، وهى تمثل مراحل تطور مدارس التصوير الفارسى فى هذه الفترة .

من أقدم هذه المخطوطات نسخة من كتاب «كليلة ودمنة» يتخللها مائة واثنتا عشرة صورة مرسومة بالألوان تعبر عما جاء بالكتاب من حكايات وعجائب. ويرجع تاريخ هذه المخطوطة الى القرن الثامن الهجرى. (٦١ أدب فارسى) .

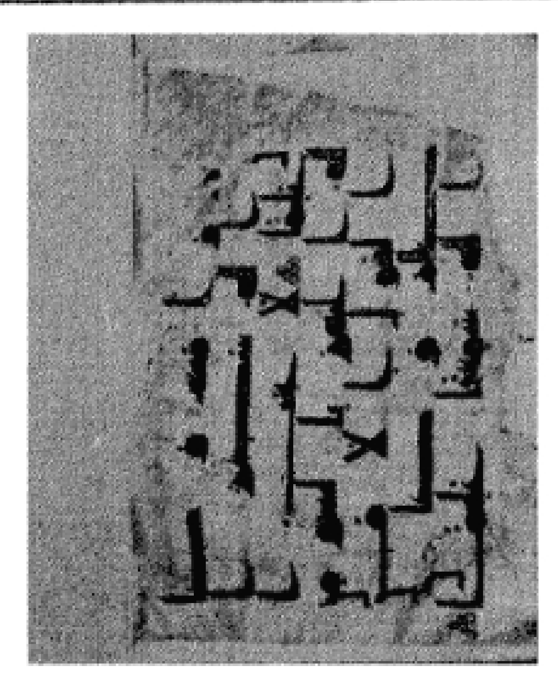
وكذلك نسخة من «الشاهنامه» للشاعر الفارسى أبى القاسم الحسن بن اسحاق الفردوسى المتوفى سنة ٤١٦. وهى أعظم ملحمة أدبية فارسية نظمها الفردوسى فى ثلاثين عاما، وأتمها سنة ٣٨٤ وقدمها للسلطان محمود الغزنوى. والنسخة الموجودة تمت كتابتها بمدينة شيراز سنة ٧٩٦هـ وتتخللها سبع وستين صورة مرسومة بالألوان للأبطال وتصوير للمعارك. (٧٢ أدب فارسى) .

أما أهم المخطوطات الفارسية المزوقة التى تحتفظ بها دار الكتب فكتاب «بوستان» نظم الشاعر شرف الدين بن مصلح الدين السعدى الشيرازى المتوفى نحو سنة ٦٩٤ هـ وهو منظوم مؤلف فى عشرة أبواب يشتمل على حكايات ونوادر أخلاقية ومواعظ اجتماعية وسياسية فرغ

من نظمها سنة ٦٥٥ هـ .

وبدار الكتب نسختان من «بوستان» سعدى برقم ٢٢ أدب فارسى، و ٦٠٠٧س. وتمتاز النسخة الأولى التى كتبها سنة ٨٩٣ الخطاط الهروى الشهير سلطان على الكاتب بأنها تشتمل على ست لوحات تحمل توقيع الرسام الشهير رفائيل الشرق كمال الدين بهزاد المتوفى سنة ٩٤٣ هـ ، وهى من أجمل وأروع ما رسمه هذا الفنان وعليها التاريخ ٨٩٣ و ٨٩٤ هـ .

ويعتبر كمال الدين بهزاد من أعظم مصورى الفرس ويحتل مكانا فريدا فى تاريخ الفن الفارسى رغم انه لم يخلف تراثا ضخما يتناسب مع تلك الشهرة، الا أن الصور القليلة التى خلفها وبينها اللوحات الست الموجودة فى مخطوطة «بوستان» سعدى توضح الى أى مدى كان هذا الفنان متحكما فى ريشته متمكنا من تصوير الأشخاص، ويتميز أسلوبه بالدقة والواقعية الكاملة مع إجادة استخدام الألوان ومزجها . وهو من المصورين القلائل الذين وقعوا على صورهم .



ورقة من المصحف الكوفى المنسوب للحسن البصرى

هذه إشارة سريعة الى نوادر المخطوطات التى تمتلكها دار الكتب المصرية والتى قاربنا الانتهاء من إعداد قاعدة معلومات متكاملة تعرف بها على الحاسب الآلى كانت الخطوة الأولى فى عملية التطوير الشامل لأداء دار الكتب والوثائق القومية بعد استقلالها فى هيئة ذات شخصية اعتبارية مستقلة .